جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
قسم العلوم الانسانية

المقياس: منهجية وتقنية البحث التاريخي1
السداسي الثالث
السنة الثانية ليسانس تاريخ

المحاضر رقم 07: علم التاريخ عند الغرب من هيرودوت إلى توينبي

- **الغرب وبدايات علم التاريخ:**

انشغل المؤرخون منذ قديم الأزل بجمع ما خلفته البشرية من ذكريات وآثار مختلفة ومقارنة بعضها ببعض، ومن ثم مجابهتها بالوثائق والمخلفات ومحاولة ضبط وتدقيق الأحداث تماشيا مع المنهج العلمي، لتظهر بذلك مدارس مختلفة فيما بعد كانت لها وجهة نظر معينة في دراسة علم التاريخ، وهل فعلا أن الحياة بحاجة إلى التأريخ أم أن التعلق به والإفراط في دراسته يضرّ بالأحياء؟

بدأ علم التاريخ أو التفكير التاريخي منذ أن بدأت الإنسانية في الوجود بمضامين ازدادت تعمقا مع ظهور الأديان التوحيدية الكبرى، ليمتزج فيما بعد بالسياسة في عهد الإغريق والرومان، ومع التطور المستمر ازدهر علم التاريخ في العالم الغربي نتيجة اعتماده على العديد من المصادر كانت عاملا ودافعا حقيقيا للوعي الأوروبي ومنها: المصدر الشرقي القديم، المصدر اليوناني، الروماني، (مصدران علمانيان)، والمصدر اليهودي، المسيحي (المصدر الديني)، والبيئة الغربية الأوروبية.

ومنذ القرن التاسع شعر اقتنع العالم الحديث إيديولوجيا بالطابع العادي للتغير، ليبرز تطور علم التاريخ والعلوم الاجتماعية الأخرى على كل المستويات الفكرية والتنظيمية، وتبرز جملة من المواد المعرفية بناءً على تسميات ومقاييس متنوعة لتتنوع بذلك ردود فعل المدارس الإيديولوجية الكبرى (مدرسة المحافظين، ومدرسة الليبراليين، ومدرسة الماركسين) إزاء هذا التجديد المتمثل في

الدراسة المنظمة في الإطار الجامعي للسلوك الاجتماعي البشري، ويفسّر كل فيلسوف التاريخ في مجتمعه ولغته وواقعه، ومن بين هؤلاء نذكر ما يلي:

- الفيلسوف ريمون آرون (المعنى المزدوج لكلمة تاريخ).
- نيتشه (الإفراط في استهلاك الماضي).
- بول فاليري (خطورة التاريخ).
- مارلو بوكتي (منطق التاريخ).
- هيجل (خطأ فكرة الاستفادة من عبرة التاريخ).
- بول فاين (علموية التاريخ).

ومن خلال هذه التوجهات والكتابات والتصورات فقد تنوع المؤرخون في كتاباتهم ونظرتهم للتاريخ وطبيعته ومنتوجه وخصائصه وتبرير ما يريده هؤلاء بناءً على ما وصلوا إليه بعد تجارب عديد في مجال الدراسات المختلفة، لينقسم هؤلاء إلى ما يلي: المؤرخ الإنسانوي والمؤرخ العقلاني، والمؤرخ الرومنطيقي، والمؤرخ الوضعي، المؤرخ التاريخاني والمؤرخ الماركسي، والمؤرخ البنيوي، والمؤرخ الفرويدي، مؤرخ الحوليات الفرنسية، فيلسوف التاريخ، مؤرخ اليوم.

- **هيرودوت والتاريخ:**

سبق هيرودوت العديد من المؤرخين من أمثال هيكاته الميليتي، كما كان هناك رواة أساطير نسبوا كل الإنجازات للآلهة والأبطال، ومع تسارع الزمن برز هيرودوت كمؤرخ أول من ترك ميدان الأساطير والأوهام المدونة أو ميدان أزمنة الآلهة والأبطال الخرافيين، لينقلب إلى الواقع وتكريس جهده في البحث عن الحروب الميدية (490–479 ق.م) وعواملها وما هي تلك الحروب.

ولد هيرودوت في هاليكارناسوس إحدى بلدات جنوب غرب آسيا الصغري حوالي سنة 484ق.م، أطلق عليه الكاتب والخطيب الروماني "شيشرون" لقب أبو التاريخ، علما أن البعض الآخر انتقد هيرودوت في هذه التسمية بالذات، حيث يؤكدون بأن ما دونه هيرودوت هو عبارة عن أكاذيب وأحاديث غير صحيحة، وبأن ما دونه هو عبارة عن حكايات فقط.

قام هيرودوت بالعديد من الرحلات الواسعة سواء في إفريقيا أو آسيا الصغرى، ودوّن من خلال تلك الرحلات والزيارات معلومات عن مظاهر الحياة التي عاشها السكان في تلك المناطق بتوثيقها في كتب ومؤلفات مختلفة.

يعتبر التاريخ بالنسبة لهيرودوت محاولة للفهم والتفسير وذلك ببحثه المعمق في الأسباب التي دفعت بالإغريق والفرس إلى الحرب محاولا بذلك إعادة بناء حقيقة الأحداث كما عيشت في الماضي، وسعى إلى البحث عن العلة وأدرك أهمية البيئة الجغرافية في مجرى التاريخ، وأن عبارته المشهورة "مصر هبة النيل" شاهد على ذلك التوجه.

وفي ما كان تاريخ هيرودوت مصبوغاً بشخصيته وهذا أمر طبيعي، إلا أن التفسير التاريخي للأحداث لابد أن يقود المؤرخ دائما إلى أن يضع فيما يكتب مجموع فهمه عن الإنسان والحياة.

تأثر هيرودوت بالعقائد الدينية مثل التدخل الرباني في الأحداث وإثبات المعجزات إلى الأرباب دون أن يذكرهم بالاسم، وأكد كثيرا على الإله أبولو في الكتب الستة التي دونها.

سمى كتابه "تمحيص الأخبار"، وله تسعة أجزاء، اهتم لها الناس والمؤرخون وترجمت إلى العديد من اللغات المختلفة.

أرجع الكثير التاريخ كعلم يُعنى بدراسة أخبار الماضي إلى هيرودوت والذي استخدم كلمة (istoria) اليونانية كعنوان لكتبه التسعة، وبهذا فقد نقل إلى علم يهتم بالنشاط البشري.

كما أنجبت اليونان مؤرخين آخرين سطع نجمهم في مجال الكتابة التاريخية خاصة "تيوسيديس" الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد، وتميز بحس النقد للروايات التاريخية وطورها عما كانت عليه في السابق.

وجاء توكيديديس ليؤكد أن المعرفة التاريخية قد تطورت وأن التاريخ تميّز بكثرة ودقة معلوماته الأصلية وبأسلوب رصين.

إن جميع المؤرخين الذين جاءوا بعد بوليبيوس كانوا في حقيقة الأمر إما مقلدين له أو ناقلين عنه وعن غيره، وكان همهم الوحيد هو إخراج كتاباتهم بأسلوب شيق ومحشو بأفكار ذات

توجه فلسفي، ومع ذلك فقد تطورت الكتابة التاريخية وظهر اتجاه نقد النصوص، وصحح توسع الثقافة اليونانية الموسوعي الذي تفتحت خلاله مواد علمية جديدة، الاتجاه السياسي الضيق الذي نهجه البحث التاريخي في ذلك الوقت فظهرت تحت تأثير أرسطو ومدرسته بحوث في تاريخ مادة علمية معنية مثل تاريخ الفلسفة، الطب، الرياضيات والفنون.

- **أرنولد توينبي وتطور التاريخ:**

ولد أرنولد جوزيف توينبي في لندن سنة 1889م، ينحدر والده من أسرة متوسطة، أما والدته فقد كانت مؤرخة وقد تعلم علم التاريخ على يدها، درس في جامعة إكسفورد وتخرج منها، ودرس التاريخ في جامعة لندن.

شهد توينبي العديد من التطورات التاريخية أثناء حياته، كان أهمها بلوغ الثورة الصناعية أو جها، واتساع رقعة الأطماع الاستعمارية في العالم الأوروبي نحو البلدان العربية خاصة القرن 18م، كما عايش أحداث الحرب العالمية الأولى ومآسيها، وأيضا الحرب الباردة وما خلفته من دمار وتخلف، وخوفا منه على مصير الحضارة الغربية المعاصرة، فقد درس الحضارات القديمة لمعرفة أسباب تدهورها وزوالها، فألف كتابا سماه "دراسة التاريخ" وهو عصارة عمره حيث أخذ منه معظم وقته (41 سنة).

يذهب توينبي إلى أن دراسة التاريخ هي في الحقيقة عبارة عن دراسة المجتمعات والحضارات، وقد قسمها إلى واحد وعشرين حضارة، ويرى أنه من بين تلك الحضارات هناك 15 منها تتصل بصلات البنوة بحضارات سابقة عليها، فالإسلامية مثلا هي عبارة عن محطة اندماج بين الحضارة الإيرانية والعربية، وترجعان معاً إلى الحضارة السورية التي تتفرع بدورها من الحضارة السومرية، وهناك ستة حضارات انبعثت من الحياة البدائية بحيث لم يكن لها أسلاف وهي المصرية، السومرية، المينيوية، الصينية، المايانية، الإندیانية، والحضارتان الأخيرتان تنتميان إلى القارة الأمريكية.

أخذ توينبي من نظرية أوغسطين الفكرة التي ترفض المصادقة في التاريخ، وأنطلق في عمله من زاوية نظرة دينية مسيحية واضحة، بمعنى أن دراسة التاريخ بالنسبة إليه هي استجابة

لنداء الله، حيث يقول: "إن المؤرخ يستجيب في دراسة التاريخ إلى نداء الله له بتتبع خلقه بالسعي لمعرفته، وإسهام المؤرخ في التراث الإنساني هو أن يقدم لنا صورة لإبداع الخالق في حركته الذاتية...الخ".

أخذ توينبي فكرة أن يعم العالم السلام وأن يكون الدين المسيحي هو الذي يحكمها، كما أن التاريخ في تقدمه هو عبارة عن حركة دورانية تتجه إلى الأمام، وقد بين ذلك من خلال فكرة بداية ونهاية التاريخ.

إن تطور التاريخ وما شهده من تتابع للاحداث جعل منه ذو أهمية ودور يدل على حيويته وكيف استطاع مجاراة العصور ويتطور ويحفظ لنفسه مكانا بين بقية العلوم نظرا لأن الانسان تاريخي بطبعه يميل إلى معرفة الماضي ومحاولة الربط بينها وبين الحاضر وهذا دليل على تطلعه للمعرفة والغوص في تفاصيل الحياة القديمة ومعاملات الامم في السابق وظروف حياتها بعد أن عاشت في التشتت إلى أن وصلت وأصبحت أوطانا لها وحدات سياسية ودولا لها حدود وعلاقات وأبعاد مختلفة.

مراجع المحاضرة:

- أرلوند توينبي: مختصر دراسة التاريخ الجزء الاول، تر: فؤاد محمد شبل
- أحمد محمود زناتي: علم التاريخ واتجاهات تفسيره
- عبد الإله الملاح: تاريخ هيرودوت
-